المنهـج النبوي في تأسيس القيم المجتمعية

"دراسة تداولية حجاجية"

إعداد الدكتورة:
نصيرة محمد غماري

المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة

محمد مبارك الميلي ـ الجزائر

الملخص

تتبّع علماء الحديث الآثار المروية عن رسولنا الكريم، لِما عقلوه من أهميتها وأبعادها التأثيرية في سلوك المسلمين ولم يألوا جهدا لذلك، فجمعوها ثم بوّبوها لتصنف تصرفاته إلى قولية وفعلية وتقريرية؛ إلا أنّ اهتمام البحث سينصبّ على سنتّه القولية ــ صلى الله عليه وسلّم ــ ، وبالأخصّ الأحاديث التي سيقت في إطار التبادل الخطابي (أو المحاورة) من جهة، و على الأحاديث المعلّلة من جهة أخرى لغاية منهجية تتمثل في ارتباط هذا الصنف من الحديث بإشكالية هذا البحث، إذ يسعى إلى وصف الاستراتيجية الحجاجية التي اعتمدها الرسول ـفي دعوة قومه إلى قيم جديدة مغايرة للنسق القيمي المعهود، ما دام التعليل من الوجهة الحجاجية هو عملية توجيه الحجة من قبل المتكلّم إلى المخاطب ليسلّم بالنتيجة التي ينشدها ويحثّه على تبني السلوكيات المناسبة؛ وهذا بالتركيز على عدد معيّن من العناصر الخطابية الشكلية قصد الوقوف على الجانب المغيّب في الأحاديث النبوية، إذ قليلا ما يكون الاهتمام بالشكل الذي يساق لأجله الحكم الشرعي مقصودا أصليا، على الرغم من أهميته البالغة في فعلي الترغيب و الترهيب، مستفيدين لأجل تحقيق هذا المطلب من النظرية التداولية الحجاجية المعاصرة بما يسمح به المقام.

The Prophetic Approach in Establishing Communal Values "An Interlocutory and synthetic Study"

By: Dr. Nossaira Mohammed Ghammary
Teachers' High School- Bouzraih Mohammed Moubarak Al-Meely- Algeria
ghonacera@gmail.com

Abstract

Scholars of Hadith have followed the narrated reminiscences of Prophet Muhammad (Peace be upon Him) for what they have understood about their importance and their influential impact upon the behavior of Muslims. The scholars spared no effort in collecting them then classifying them into three chapters; verbal, practical and informative. Though, the research is concerned with the verbal Sunnah; especially the Hadiths that have included in a mutual interlocution (dialogue) on the one hand, and the Hadiths that have justified on the other hand for a thematic purpose as embodied in the relating this genre of Hadith to the problematic of this research. The research is seeking to describe the strategy of interlocution which Prophet Muhammad (Peace be upon Him) has relied on in his mission to his folks so as that they would follow new values different from their usual paradigm. Since justification from this respect is a process of reorienting the pretext in the interlocutor's respect towards the addressee in order to achieve the expected result and adopt the suitable behavior. This can be achieved through stressing a number of verbal elements aiming at examining the concealed aspect of the Hadiths. Rarely, it is meant to pay attention to the form targeted in the legislative verdict. Despite its ultimate importance to attract and intimidate, the benefit is achieved through the modern interlocution and synthetic theory as far as allowed.

Key words: The prophetic approach- establishing communal values- mutual interlocution.

مقدّمة:

لا مُشاحّة في أنّ الدولة الإسلاميّة التي أسّسها الرسول الكريم في المدينة بعد نصرة أهلها له واستقراره فيها ومن معه من المهاجرين، قد احتاجت إلى منهج متميّز عمل الرسول الكريم على تنفيذه بما آتاه الله من حكمة بوصفه مؤيّدا بالوحي في تصرفاته التشريعية، وبالهدي الإلهي في اجتهاده، وانتشرت نتيجة ذلك، الدعوة الإسلاميّة بين القبائل العربيّة بصورة منقطعة النظير في تاريخ المجتمعات الإنسانية.

لقد أفصح القرآن الكريم عن الدّعامة الأخلاقية التي قام عليها المنهج النبوي؛ في مقام الامتنان على المؤمنين من المهاجرين والأنصار في قوله تعالى: ﴿كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلّمكم الكتاب والحكمة ويعلّمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ البقرة / ١٥١ وقوله ﴿ ويعلّمكم الكتاب والحكمة ﴾ كما يقول ابن عاشور "أي يعلّمكم الشريعة، فالكتاب هنا هو القرآن باعتبار كونه كتاب تشريع لا باعتبار كونه معجزا ويعلمكم أصول الفضائل، فالحكمة هي التعاليم المانعة من الوقوع في الخطأ والفساد، ...وقوله ﴿ و يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ تعميم لكل ما كان غير شريعة ولا حكمة من معرفة أحوال الأمم وأحوال السياسة الدول وأحوال الآخرة وغير ذلك"(١)، أما ابن عطية فيفسّر الحكمة الواردة في قوله تعالى ﴿ لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ (٢) بأنّها " السنّة المتعلَّمة من لسانه عليه السلام، " (٣) .

(١) ــ محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤، ج ٢ ص ٤٩ــ ٥٠

(٢) ــ آل عمران: الآية ١٦٤

(٣) ــ أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي: تفسير ابن عطيّة، المحرِّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار ابن حزم ص ٣٧٩

انطلاقا من هذا الاعتبار، تتبّع علماء الحديث الآثار المروية عن رسولنا الكريم، لِما عقلوه من أهميتها وأبعادها التأثيرية في سلوك المسلمين ولم يألوا جهدا لذلك، فجمعوها ثم بوّبوها لتصنف تصرفاته إلى قولية وفعلية وتقريرية؛ إلا أنّ اهتمام البحث سينصبّ على سنتّه القولية ــ صلى الله عليه وسلّم ــ ، وبالأخصّ الأحاديث التي سيقت في إطار التبادل الخطابي (أو المحاورة) من جهة، و على الأحاديث المعلّلة من جهة أخرى لغاية منهجية تتمثل في ارتباط هذا الصنف من الحديث بإشكالية هذا البحث، إذ يسعى إلى وصف الاستراتيجية الحجاجية التي اعتمدها الرسول ـفي دعوة قومه إلى قيم جديدة مغايرة للنسق القيمي المعهود، ما دام التعليل من الوجهة الحجاجية هو عملية توجيه الحجة من قبل المتكلّم إلى المخاطب ليسلّم بالنتيجة التي ينشدها ويحثّه على تبني السلوكيات المناسبة؛ وهذا بالتركيز على عدد معيّن من العناصر الخطابية الشكلية قصد الوقوف على الجانب المغيّب في الأحاديث النبوية، إذ قليلا ما يكون الاهتمام بالشكل الذي يساق لأجله الحكم الشرعي مقصودا أصليا، على الرغم من أهميته البالغة في فعلي الترغيب و الترهيب، مستفيدين لأجل تحقيق هذا المطلب من النظرية التداولية الحجاجية المعاصرة بما يسمح به المقام.

١ـ الأبعاد التأثيرية للسنة القولية:

يمكن القول إنّ هدف الإسلام منذ البداية قد اتجّه نحو بناء الإنسان عامة وهذا بتقويم تفكيره الذي أفسدته الشوائب ، وقد أوكل الله تعالى تنفيذ هذه المهمة إلى رسوله الكريم الذي هيّأه إلى هذا الفعل التقويمي؛ ذلك أنّ من صفات المقوِّم لأفعال الغير أن يكون منزّها عنها ، ولا أحد توفّرت فيه شروط الكفاءة والأداء مثله ــ صلى الله عليه وسلّم ــ، فقد شهد له خالقه ومكلّفه بهذه الرسالة بصفات الكمال الإنساني " وإنك لعلى خلق عظيم " القلم/ ٤، إذ "لمّا كانت أخلاقه الحميدة كاملة لا جرم وصفها الله بأنّها عظيمة ولهذا قال ﴿قل لا أسألكم عليه أجرا وما أنا من المتكلّفين﴾ ص: ٨٦ ، أي: لست متكلّفا فيما يظهر لكم من أخلاقي لأنّ

المتكلّف لا يدوم أمره طويلا بل يرجع إلى الطبع ،﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ الأنعام: ٩٠، فتعيّن أن يكون المراد منه أمره عليه الصلاة والسلام بأن يقتدي بكلّ واحد من الأنبياء المتقدّمين فيما اختصّ به من الخلق الكريم، فكان كلّ واحد منهم مختصا بنوع واحد فلما أمر محمد عليه الصلاة والسلام بأن يقتدي بالكلّ فكأنه أمر بمجموع ما كان متفرّقا فيهم..."(١).

والمقصود بالتقويم " تصيير الشيء على ما ينبغي أن يكون من التأليف والتعديل، يقال: قوّمته تقويما فاستقام وتقوّم" (٢) وقد لخّص الشيخ الطاهر بن عاشور في منهجه الإصلاحي هذا المقصد الإسلامي في قوله:" أما إصلاح التفكير المبحوث عنه هنا فهو التفكير فيما يرجع إلى الشؤون في الحياة العاجلة والآجلة لتحصيل العلم بما يجب سلوكه للنجاح في الحياتين.. فأعماله (أي الإنسان) جارية في الصلاح والفساد على حسب تفكيره، وقد عبّر عن التفكير في اصطلاح الشريعة بالقلب قال الله تعالى﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾، وفي الحديث الصحيح عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلّم ــ يقول " ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّه وإذا فسدت فسد الجسد كلّه ألا وهي القلب " أراد بالقلب العقل ..والمراد بصلاح الجسد صلاح العمل ...و بهذا نستدل على أنّ إصلاح التفكير من أهمّ ما قصدته الشريعة الإسلامية في إقامة نظام الاجتماع من طريق صلاح الأفراد . وبهذا نفهم وجه اهتمام القرآن باستدعاء العقول للنظر والتذكر والتعقّل والعلم والاعتبار وأنّ ذلك جرى على هذا المقصد فأنبأنا عن استقراء اهتمامه والإفصاح عنه

(١) ـ فخر الدين الرازي: التفسير الكبير ،دار الكتب العلمية ، ط ١ ٢٠٠٠ ،ج ٣٠ ص ٧١

(٢)ـ المرجع نفسه ، ج ٣٢ ص ١١

بكلام رسوله" [1] و يجدر بنا في هذا المقام أن نشير إلى أنّ تقويم التفكير ما هو إلا الرجوع بالإنسان إلى الفطرة التي جبله الله عليها، وهذا ما تفطّن له الشيخ صاحب التحرير والتنوير في تفسيره لقوله تعالى ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، ثم رددناه أسفل سافلين، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ التين: ٤ ــ ٦ ، حيث ذهب إلى أنّ المراد بالتقويم المذكور في الآية هو "تقويم العقل الذي هو مصدر العقائد الحقة والأعمال الصالحة، وأنّ المراد برده أسفل سافلين انتقال الناس إلى اكتساب الرذائل بالعقائد الباطلة والأعمال الذميمة ..فالأصول الفطرية هي التي خلق الله عليها الإنسان المخلوق لعمران العالم، وهي إذا الصالحة لانتظام هذا العالم على أكمل وجه، وهي إذا ما يحتوي عليه الإسلام الذي أراده الله لإصلاح العالم بعد اختلاله "[2].

والمؤكّد هنا أنّ الجانب العقدي في الإنسان لا ينفصل عن الجانب العملي، حيث إنّ "مفهوم "الإنسان الصالح" في الإسلام لا يعني أن يكون الإنسان "صالحا" بالمعنى الاجتماعي العام الشائع، ولكن أن يكون أولا صالحا مع نفسه ، وألاّ يكون ظالما لها .. ذلك أنه إذا كان الإنسان ظالما لنفسه فكيف يكون عدلا مع الآخرين؟" [3]

لقد كان الرسول الكريم يدرك بحكمته السديدة أنّ إصلاح الفرد منوط بالفعل القولي التأثيري الإقناعي؛ إذ لا يمكن أن ينقاد إلى أوامر الله ونواهيه طواعية من كان قلبه مشوّشا وغير مستوثق. وما كان يشغل الرسول ــ صلى الله عليه وسلّم ــ هو كيف يأخذ هذا الدين

(١) ــ محمد الطاهر بن عاشور: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الشركة التونسية للتوزيع ، ط ٢، ١٩٨٥، ص ص ٥١ ـ ٥٢

(٢) ـ محمد الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، ت محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، الأردن،ط٢، ٢٠٠١ ص ٢٦٤

(٣) ـ محمد نقيب العطاس: مداخلات فلسفية في الإسلام والعَلمانية ، تر سيد محمد طاهر الميساوي ، المعهد العالي العالمي للفكر والحضارة الإسلامية ، ، دار النفائس الأردن ط ١ ٢٠٠٠ ص ١٠٦

طريقه إلى العقول قبل القلوب، وهذا الذي أجابت عنه السنة القولية والفعلية. بل إنّ القرآن الكريم قد شهد له بسلوكه الطريقة المثلى و الناجعة في دعوته ، فمن لا يملك القلوب لا سبيل لأن تذعن له العقول، فتنفذ أوامره في حضوره وغيابه لا عن رهبة وإنما عن رغبة واقتناع ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهَّ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهَّ إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[1] ولأجل ترسيخ القيم الأخلاقية التي بعث لإكمالها كان لا بدّ من تقويم العلاقات التي تحكم النظام الاجتماعي من خلال الإرشاد إلى قواعد السلوك الصحيح الذي تنبني عليه سعادة الدارين.

ولقد تحقق هذا المقصد في الدولة الإسلامية الناشئة بواسطة تقويم تفكير الفرد من ناحية وتقويم السلوك من ناحية أخرى، وفق مستويات مختلفة من أعلى الهرم الاجتماعي إلى قاعدته:

٢. أسس المنهج النبوي في الدعوة إلى القيم المجتمعية:

قد قامت تصرفات الرسول باعتباره راعيا خير شاهد على ما دعا إليه، فلا تناقض بين ما يدعو إليه وما يقوم به مهما كانت الإكراهات؛ و نورد قصد التطبيق عددا من الأحاديث التي سيقت في مقامات مختلفة بالقدر الذي يمكننا من مقاربة هدف البحث والتي تنوب عن البقيّة لأنّ جلّ كلامه ــ صلى الله عليه وسلّم ــ جار هذا المجرى إذا جاء في مقام التعليل .

نماذج تطبيقية:

الأنموذج ١ :

أورد البخاري في كتاب المغازي: " قال لما أفاء الله على رسوله ــ صلى الله عليه وسلّم ــ يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئا فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس فخطبهم فقال يا معشر الأنصار: ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي، وكنتم

(١) ـ آل عمران: ١٥٩

متفرّقين فألّفكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي؟ كلّما قال شيئا قالوا: الله ورسوله أَمَنُّ. قال: ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلّم ــ ؟ قال: كلما قال شيئا قالوا: الله ورسوله أَمَنُّ. قال: لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا. أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى رحالكم، لولا الهجرة لَكنت امرأ من الأنصار ولو سلك الناس واديا وشِعبا لَسَلكتُ وادي الأنصار وشِعبَها. الأنصار شِعار والناس دِثار. إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض"[1].

(١) ــ أحمد بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب المغازي ، دار الريّان للتراث، ط ٢ ١٩٨٧، ج ٧ ٦٤٤ ، و عن أنس بن مالك رضي الله عنه:" قال ناس من الأنصار ــ حين أفاء الله على رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ما أفاء من أموال هوازن، فطفق النبيّ ــ صلى الله عليه وسلم ــ يعطي رجالا المائة من الإبل، فقالوا: يغفر الله لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم، قال أنس: فحُدِّث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمقالتهم، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبّة من أدَم، ولم يدعُ معهم غيرهم. فلمّا اجتمعوا قام النبيّ ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال: ، فخطبهم فقال: ما حديث بلغني عنكم؟ فقال فقهاء الأنصار: أمّا رؤساؤنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئا، وأمّا ناسٌ حديثة أسنانهم فقالوا: يغفر الله لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم. فقال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : فإنّي أعطي رجالا حديثي عهد بكفر أتألَّفهم، أما ترضون.. بقية الحديث" المصدر نفسه ص ٦٥٠

* نبّه جون أوستين(١٩٧٠) في المحاضرات التي ألقاها على طلبته والتي جمعت في كتاب عنون بـ HOW TO DO THINGS WITH WORDS على أن اللغة لا تمثل العالم بالدرجة الأولى وإنما هي إنجاز لأفعال؛ ذلك أن التكلم هو ممارسة فعل على الآخر، وبهذا يعدّ فعل الكلام من المفاهيم الأساسية في اللسانيات التداولية بوصفه أصغر وحدة تهدف إلى تغيير وضعية المتخاطبين من خلال إنجاز فعل لغوي بواسطة اللغة كإنشاء أمر أو نهي أو وعد أو تأكيد ...والمخاطَب لا يتأتى له تأويل هذا الفعل إلا بتعرفه على الخاصية القصدية لفعل المتلفِّظ (١). وبهذا الاعتبار تكون الوظيفة الإنجازية للكلام قادرة على التأثير في الواقع و إحداث أفعال معينة كالمراهنة و الوعد وعقد القران ..الخ لذا لا يمكنها أن تنعت بالصادقة أو

إنّ تحليل الأفعال الكلامية* الجزئية التي يقوم عليها هذا الحديث ليكشف عن حكمة الرسول الكريم في سياسته لأمته ؛ فلئن كان القرار الذي اتخذه في توزيع الغنائم يوم حنين على المؤلفة قلوبهم ومنع الأنصار منها من وجهة نظرهم لم يكن منصفا؛ الأمر الذي أدّى إلى حركة احتجاجية غير معلنة (حيث بلّغ به الرسول نقلا وليس مواجهة) فإنّ تتبّع ردّ فعل الرسول ــ صلى الله عليه وسلّم ــ يكشف عن عبقرية في إدارة شؤون الأمّة من خلال اعتماده على قوّة الخطاب. فعلى الرغم ممّا عرف عن الأنصار من حبّهم للرسول ومناصرتهم له ، فإنّهم بشر، يحزّ في أنفسهم ما يحزّ في غيرهم في مثل هذه المواقف، وهذا ما عبّر عنه راوي الحديث في رواية عبد الله بن زيد بن عاصم بفعل وَجَدوا (أي غضبوا) في قوله (فكأنَّهم وَجَدوا إذ لم يصبهم ما أصاب النَّاس) لما ظهر عليهم من عدم رضا.

إنّ خطاب الأنصار وإن كان وليد الانفعال، قد اتّصف بالاتّزان، حيث جاء متضمّنا حجة تبرّر موقفهم " يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم" أو" إذا كانت شديدة فنحن ندعى " ، خاصة إذا وضعنا في الاعتبار أنّ هذا الموقف تبنّاه شبابهم ، وهذا ما نلمسه في خطاب فقهائهم، إذ دلّ سكوتهم على تجنّبهم مجادلة الرسول ــ صلى الله عليه وسلّم ــ لأنهم يوقنون أنّ أفعاله بعيدة عن الشطط، لدلالة صفة التفقّه التي أثبتها راوي الحديث على الفهم والتبصّر، وما إسناد الفعل إلى قائليه وهم الشباب بقولهم :" أمّا رؤساؤنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئا، وأمّا

الكاذبة . وإنما تكون إما ناجحة أو فاشلة، وفشلها ينجم –في غالب الأحيان – من خرق شروط خارج لسانية كالسياق و المواضعات الاجتماعية " لمزيد من التفصيل ينظر . نصيرة محمد غماري : النظرية التداولية عند الأصوليين: دراسة في تفسير الرازي ، عالم الكتب الحديث الأردن ٢٠١٤،و Austin : Quand – dire c'est faire ;introduction ; traduction par Gilles Lane، Editions du Seuil، ١٩٧٠

ناسٌ حديثة أسنانهم فقالوا: يغفر الله لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلّم ــ يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم " ومن طريق آخر " إذا كانت شديدة فنحن ندعى ويعطى الغنيمة غيرنا"[1] إلاّ تخفيف للموقف ودفع للإحراج .

أمام هذا الموقف الطارئ تظهر حكمته ــ صلى الله عليه وسلّم ــ في تصرّفه الآني، إذ بمجردّ ما بُلّغ الخبر دعاهم منفردين لاسترضائهم، ولا يخفى ما في هذا التصرّف من إعلاء لمكانتهم ، وقد تضمّن خطابه فعلا تأثيريا* عاما تمثّل في تبشيرهم بسعادة الدارين؛ فجزاؤهم قد فاق كلّ مغنم، فمن رزق جواره وحبّه قد رزق الخير كلّه.

إنّ تحليل الأفعال اللغوية الجزئية التي كوّنت هذا الفعل الخطابي يكشف لنا بلاغة الرسول الكريم، وأنّ من أبعاد حكمته مخاطبة العقل والقلب؛ فمهما بلغ ارتباط الإنسان بالآخر، فإنه يحتاج إلى فعل إقناعي ليكون الرضا ناتجا عن الاقتناع وليس الاندفاع الذي يزول بزوال ظروفه

(١) أحمد بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ص ٦٤٩

يتكوّن الفعل الكلامي حسب النظرية التداولية من ثلاثة مستويات:

*- **فعل الكلام القولي** :يعرّفه أوستين بأنه نتاج جملة مزوّدة بمعنى و مرجع و هذان العنصران يكوّنان الدلالة signification بالمعنى التقليدي للكلمة .

- **فعل الكلام المتضمن في القول**: أشار أوستين أن فعل الكلام يتألف من عنصرين هما: المضمون القضوي و قوة متضمنة فيه force illocutoire تصاحب المعنى الصريح و الحرفي الذي يتيحه هذا الفعل ويكون هو المقصود ويهتدى إليه بواسطة القرائن؛

ـ **فعل الكلام التأثيري** :وهو الأثر الذي يحدثه فعل الكلام المتضمن في القول في المخاطب .

J- Austin : Quand dire c'est faire p ١١٦-- ولمزيد من التفصيل ينظر للباحثة " نظرية أفعال الكلام عند أوستين" مجلة اللغة والأدب ع ١٧، جامعة الجزائر ٢٠٠٧

و هذا ما نلمسه في خطاب الرسول ــ صلى الله عليه وسلّم ــ القائم على التوضيح والتعليل، حيث قابل حجج الأنصار بحجج أبطلتها وفق ما سنبيّنه .

لقد بنى الرسول الخطيب خطابه على عدد من الحجج؛ ذلك أنّ الحجة باعتبارها موجّهة لصالح نتيجة معيّنة، تمتلك توجيها حجاجيا. والقيمة الحجاجية للملفوظ (أي كونه مؤولا كحجة تخدم نتيجة) تحدّد بواسطة هذا التوجيه الذي يصبّ في قانون المرور بوصفه حقيقة عامة لا يمكن التغافل عنها " فالملاحظ أن قانون المرور يقدّم للقضيّة المعنى الحجاجي الذي لم تكن تمتلكه من قبل، وهذه مسلمة أساسية في المحاجة الخطابية تستمد القضيّة بواسطتها توجّهها نحو النتيجة؛ حيث إنها تعبّر عن حقيقة عامة أحيانا من النوع المثلي المعزو إلى متلفّظ جماعي والذي غالبا ما يكون ضمنيا. كما أنها تسمح للمحاجج بإسناد أقواله إلى مبدأ أو مواضعة مقبولة اجتماعيا".(١)، فتعداده للمِنن الظاهرة له عليهم (ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي، وكنتم متفرّقين فألّفكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي؟)؛ ما هو إلاّ تنبيه وتذكير بالعلاقة المخصوصة التي تربطه بهم والتي قد سها عنها شبّانهم لطبيعة المرحلة العمرية الموسومة بالتسرّع والاندفاع، ولهذا قابل الأنصار كلّ حجة (مِنّة) ساقها الرسول بالاعتراف بفضل الله عليهم؛ فلو لم يكن الرسول بين ظهرانيهم لما عرفوا للإيمان ونعمة الأمن سبيلا، فتأكّد بذلك حسن أدبهم بتركهم التعنّت والإذعان إلى الحقّ، إذ كلّما قال شيئا قالوا: الله ورسوله أَمَنُّ.

كما فطن الرسول ــ المحاجج إلى إجرائية إبراز الحجج المضمرة لصاحب الدعوى التي قد تكون حاضرة في ذهن بعضهم و يمنعهم الحياء من مواجهته بها، لذا بادرهم بها على التوالي:" قال: ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ .. لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا.، وأخرج أحمد عن أنس بلفظ " أفلا تقولون: جئتنا خائفا فآمنّاك، وطريدا فآويناك، ومخذولا

(١) Christian Plantin : L’argumentation Editions du seuil. p ١٩٩٦ ٦٠

فنصرناك، فقالوا: "بل المنّ علينا لله ورسوله"[1] " وإذ صرّح الرسول الكريم، بها، فلأنه يريد أن يلزمهم الحجة أكثر، حيث يتمثل الفعل التأثيري في تصفية النفوس والاقتناع التام بالحكم. فالقصد المتضمّن في خطابه حاصله أنّه غير ناكر للجميل، ومقدّر لمعروفهم زمن الضعف والعسرة، لكن هل تكافئ منن الأنصار منن الرسول؟ فمِن أعظم نعم الله على الأنصار أن ألَّف الله برسوله بينهم، فاستبدلت العصبية والتناحر بالأخوّة و الأمن وزادهم حظوة أن خصّهم بمودّته بأسوب استعاري يقطر مودّة و رفقا بأن جعلهم بطانته وخاصّته دون سواهم: "أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي ــ صلى الله عليه وسلّم ــ إلى رحالكم، لولا الهجرة لَكنت امرأ من الأنصار ولو سلك الناس واديا وشِعبا لَسَلكتُ وادي الأنصار وشِعبَها.الأنصار شِعار والناس دِثار. إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض"[2] وغير خافٍ على البليغ ما للصور البلاغية من تأثير، كونها قائمة على

(١) ـ أحمد بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ص ٦٤٨

(٢) ــ المصدر نفسه: كتاب المغازي ج ٧ ٦٤٤ ، و عن أنس بن مالك رضي الله عنه:" قال ناس من الأنصار ــ حين أفاء الله على رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ما أفاء من أموال هوازن، فطفق النبيّ ــ صلى الله عليه وسلم ــ يعطي رجالا المائة من الإبل، فقالوا: يغفر الله لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم، قال أنس: فحُدِّث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمقالتهم، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبّة من أدَم، ولم يدعُ معهم غيرهم. فلمّا اجتمعوا قام النبيّ ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال: ، فخطبهم فقال: ما حديث بلغني عنكم؟ فقال فقهاء الأنصار: أمّا رؤساؤنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئا، وأمّا ناسٌ حديثة أسنانهم فقالوا: يغفر الله لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم. فقال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : فإنّي أعطي رجالا حديثي عهد بكفر أتألَّفهم، أما ترضون.. بقية الحديث" المصدر نفسه ص ٦٥٠

التخييل. والاستعارة من الوسائل التي يعوّل عليها كثيرا في توسيع الحجاج لما توفّره من قدرة على الإفهام والإقناع وبما تثيره من إيحاءات ودلالات تنتجها تداعيات الصورة المجازية.

وإذا ما أردنا تقديم خطاطة حجاجية دنيا لهذا الفعل الخطابي وفق مصطلحات خطاطة تولمان **Le schema de Toulmin** نحصل على النموذجين المتقابلين الآتيين:

الخطاطة الحجاجية لخطاب الأنصار:

القضية المدعاة	النتيجة	قانون المرور
عدم إنصاف الرسول ــ صلى الله عليه وسلّم ــ الأنصار فقالوا: يغفر الله لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلّم يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم،	**غضب الأنصار و حزنهم**	**الأنصار أولى بالغنائم**

الخطاطة الحجاجية لخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم:

القضية ــ الضد	النتيجة	قانون المرور (حقيقة عامّة)
رعاية الرسول ــ صلى الله عليه وسلّم ـ المصلحة العامة (السياسة) اقتضت توزيع الغنائم على حديثي العهد بالإسلام " فإنّي أعطي رجالا حديثي عهد بكفر أتألّفهم،	**تأليف قلوب المهزومين وجبر نفوسهم لاتّقاء شرهم وكسب ودّهم**	**الأحبّاء مأمونو الجانب وطاعتهم موثوق منها. " أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى رحالكم، ...الأنصار شِعار والناس دِثار"**

وعلى هذا الأساس فإنّ القصد الأسمى من هذا الحديث هو بعده التأثيري الذي يتحدّد في تقنين علاقة الراعي والرعيّة على حدّ سواء، حيث يكفي أن نتبيّن وقع أفعال االكلام النبويّة التي أعادت الأمور إلى نصابها بسلطة الخطاب الإقناعية؛ فالاجتماع الذي افتتح بموجدة في نفس الأنصار، قد ختم والكلّ راض بل مجبور النفس، فقد زاد في حديث أبي سعد " اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار. قال فبكى القوم حتّى أخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله قسما وحظا"(١).

الأنموذج ٢

عن عوف بن مالك عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلّم ــ قال :خيار أئمتكم الذين تحبّونهم ويحبّونكم. ويصلّون عليكم وتصلّون عليهم. وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم) (٢).

إنَّ الشَّرع لم يفرق في المعاملة بين السيّد والمولى أو الحاكم والمحكوم، فكلهم يتساوون عند الله ولا يتفاوتون إلا بمقدار التقوى والصلاح، لذا كانت العلاقة بينهما علاقة حقوق وواجبات، فالمطلوب من الحاكم أن يكون آلة تنفيذ لشرع الله بما يرضيه ولا يُطلب منه إلا أن يكون منصفا وعادلا، فيحكّم دينه وإنسانيته في إدارته لشؤون الرعيّة؛ ذلك أنّ المنصب قد يغري بالنفس الضعيفة الظالمة لنفسها فتنزلق إلى الغِلْظة والتشدّد. في مقابل ذلك يطلب من الرعيّة تقدير جهد الحاكم بطاعته ومساعدته الدعاء له بالنصرة والتوفيق. غير أنّ الرسول الكريم اعتمد على الاقتصاد اللغوي الذي بني عليها الأسلوب العربي البليغ ممثلا في البلاغة

(١) ـ المصدر نفسه ص ٦٤٩

(٢) ـ و تتمة الحديث : " .. قيل: يا رسول الله! أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال (لا. ما أقاموا فيكم الصلاة. وإذا رأيتم من ولا تكم شيئا تكرهونه، فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يدا من طاعة "

هي الإيجاز وبأنه ــ صلى الله عليه وسلّم ــ قد أوتي جوامع الكلم، لذا فقد نصّ على النتيجة المترتّبة عن الحالة الأولى في الأنموذج الثاني (حالة الاستقامة) وهي التّحاب والدعاء المنتجة لمجتمع مستقر وآمن" خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم. ويصلون عليكم وتصلون عليهم". كما نصّ على النتيجة المترتّبة عن الحالة الثانية (حالة الاعوجاج) وهي التباغض والتلاعن وأضمر مقتضياتها التي لا تخفى على المخاطبين لأنها مسجّلة في اللغة ولا يستقيم الكلام إلا باستحضارها. "شرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم و تلعنونهم و يلعنونكم" (١).

لقد كان لرسول الله كما رأينا أعلاه، منهجا فذا في بناء الفرد بناء قوامه التعليم والتوجيه، حيث لا يكتفي بإصدار الأحكام فيما يعرض له من مواقف خاصّة أو عامّة وإنما غالبا ما يتبع الحكم بالتعليل الذي يأخذ منحى حجاجيا غايته بناء فكر استدلالي لدى المتلقي لا مجرّد التشريع. وتأخذ تلك التعليلات صفة **جوامع الكلم** التي اختصّ بها الله رسوله الكريم. و هي حسب ابن الأثير على قسمين: القسم الأول تتضمّن ألفاظه من المعنى ما لا تتضمّنه أخواتها، مما يُستعمل في مكانها وبهذا فلا يمكن لكلمة أن تنوب عن الأخرى. فمن ذلك ما يأتي على حكم المجاز، ومنه ما يأتي على حكم الحقيقة؛ والقسم الثاني منهما فهو التعريف الشائع لجوامع الكلم أي الإيجاز الذي يُدَلّ به بالألفاظ القليلة على المعاني الكثيرة (٢) لتعلّقها بالذهن فيسهل أمر استعادتها، بل إنّها تشكّل حقيقة كليّة عامّة (قانون المرور أو المقدمة الكبرى) يستند إليها المرء في المواقف الاستدلالية.

---

(١) ـ و تتمة الحديث: " .. قيل: يا رسول الله! أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال (لا. ما أقاموا فيكم الصلاة. وإذا رأيتم من ولا تكم شيئا تكرهونه، فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يدا من طاعة "

(٢) ــ أنظر: ضياء الدين ابن الأثير: المثل السّائر في أدب الكاتب والشاعر، تح أحمد الحوفي و بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر ج ١ الفصل الخامس في جوامع الكلم ص ٧٨ ــ ٨٠

ومن هذا المنطلق، فإنّ إدارة الرسول ــ صلى الله عليه وسلّم ــ لشؤون رعيّته قد أثّر تأثيرا مباشرا في سلوك الصحابة رضوان الله عليهم، فقراءتنا لسنّته تكشف لنا النسق الثقافي والحضاري الذي شكّل الحاضن لدعوته إلى الدين الجديد، كما نلمس عمق الفجوة التي كانت تطبع أخلاقه وأخلاق قومه. فكثيرة هي الأحاديث التي ترينا حدّة الطباع التي وسمت بعض الصحابة باعتبارهم حديثي عهد بالقيم الجاهلية التي طبعت المجتمع، والتي عمل الرسول على تليينها بتصرفاته القولية والفعلية، لقد كان الرسول ــ صلى الله عليه وسلّم ــ حريصا على أن يتّبع منهجا تعليميا حكيما ولنقل حجاجيا علّم من خلاله أصحابه ومن بعدهم أسلوب التفكير السليم (الحكمة)، الذي يقوم على دعامات أربع تأتي مرتبة وفق ما يلي: علم الاعتقاد الحق وهو معرفة الله حقّ معرفته ، علم الأخلاق وهو ما يصدر عن العلم به كمال نفسية الإنسان ، علم المجتمع ، علم السياسة المدنية وهو تقويم الأمة وإصلاح شؤونها. ودعوة الإسلام في أصوله وفروعه لا تخلو من شعبة من شعب هذه الحكمة. وقد ذكر الله الحكمة في مواضع كثيرة من كتابه مراد بها ما فيه صلاح النفوس، من النبوءة والهدي والإرشاد(١).

فالحياة السياسية والاجتماعية لا تدار وفق خطاب السلطة، حيث تسنّ القوانين ويرتجى من المواطن تنفيذها صاغرا، وإنّما تحتاج لتنفيذها إلى مواطن سويّ، واثق في نفسه وتصرفاته لا توجّهها الرهبة وإنما الاقتناع بأنّه ينتمي إلى مجتمع عادل يطبّق فيه القوانين على الجميع، وهذا ما سعى الرسول ــ صلى الله عليه وسلّم ــ إلى تجسيده عمليا وتبليغه لرعيّته من خلال محاوراته.

الأنموذج ٣

عن أبي هريرة قال: دخل رجل أعرابي المسجد فصلى ركعتين ثم قال: اللَّهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً! فالتفت إليه رسول اللهَّ فقال: "لقد تحجّرت واسعاً"، ثم لم

(١) ــ ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر،١٩٨٤ ،ج ٣ ص٦١

يلبث أن بال في المسجد، فأسرع الناس إليه فقال لهم رسول اللهَّ :"إنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين، أهريقوا عليه دلواً من ماء، أو سجلاً من ماء " قال: يقول الأعرابي بعد أن فقه:" فقام النبي إليّ بأبي وأمي فلم يسب، ولم يؤنب، ولم يضرب"(١)

الأنموذج ٤

" عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا تقاضى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلّم ــ فأغلظ له فَهَمَّ به أصحابه فقال: دعوه؛ فإن لصاحب الحق مقالا واشتروا له بعيرا فأعطوه إياه، وقالوا لا نجد إلا أفضل من سنه. قال: اشتروه فأعطوه إياه فإنَّ خيركم أحسنكم قضاءً"(٢)

لا جدال في أنّ الفعل الذي سلكه الأعرابيان سلوك فجّ، ينافي قواعد التأدّب؛ مما أغضب الصحابة وهمّوا بإيقاع العقوبة عليهما، لكن رعاية الرسول للمصلحة ولبعد نظره جعله ــ عوض الاستنكار الذي لا شكّ أنّ مضارّه أكثر من منافعه ــ يبيّن لمتلقيه الأسلوب الصحيح الواجب الأخذ به في المعاملة، وفي ذات الوقت يؤثّر في الأعرابيين بحيث خبرا بنفسيهما مقابلة الرسول الإساءة بالحِلم والرحمة.

إنّ المتأمل في جوامع الرسول الواردة في المحاورات المعروضة، ليجزم أنّ لا كلمة تستطيع أن تسدّ مسدّ التي سيقت، ذلك أنّ كل تركيب قد عبّر عن المقاصد التربوية الرامية إلى تقويم سلوك المتلقّي المباشر وغير المباشر. فخطّ بذلك للمسلمين منهجا حكيما في رعاية المصالح وتجنّب المفاسد، من خلال تبنّي السلوك المنضبط الهادئ والبعيد عن الانفعال. وقدّم نصائح

(١) ـ صحيح مسلم كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد ج ١ص٢٣٦، ، والبخاري مع الفتح، بمعناه مختصراً في كتاب الوضوء، ج١ص٣٢٢، البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ج١٠ص٤٣٨

(٢) ــ المصدر نفسه كتاب الاستقراض، ج ٥ ص ٦٩

تعمّ أمته على مدى الأزمان. وهو عليه الصلاة والسّلام متّبع في منهجه هذا الإرشاد الربّاني في قوله تعالى: ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم. وما يلقّاها إلا الذين صبروا وما يلقّاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ (١) الذي "وعظ الله تعالى فيه نبيّه عليه الصلاة والسلام ، ونبّهه على أحسن مخاطبة،.. " ادفع بالتي هي أحسن" آية جمعت مكارم الأخلاق وأنواع الحلم، والمعنى: ادفع أمورك وما يعرض لك مع الناس ومخالطتك لهم بالفعلة أو بالسيرة التي هي أحسن الفعلات والسّير، فمن ذلك بذل السلام، وحسن الأدب، وكظم الغيظ ، والسماحة في القضاء و الاقتضاء وغير ذلك" (٢)

إنّ ما يميّز الرسول عن الصحابة رضوان الله عليهم أنّه لم يكن آليا في تعاملاته، بل كان في تطبيقه لأحكام الشريعة مقدّرا للعوامل الخارجية والنفسية التي تؤثّر في الفرد، لهذا قد نبّه متلقّيه إلى ضرورة اعتبار القصد في التصرّف عمليا، فالرسول ــ صلى الله عليه وسلّم ــ وعى أنّ أفعال الأعرابيين لم يكن باعثها الاستخفاف بدين الله وقصد الإساءة وإنما هو تصرف تحكمه الجِبِلّة المتأصّلة فيهما، جريا على عادة الأعراب من جفاء المخاطبة وسوء التصرّف(٣) .

(١)ــ فصلت / ٣٤، ٣٥

(٢) ــ أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي: تفسير ابن عطيّة، المحرِّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ص ١٦٥٤

(٣) ــ جاء في اللسان " إذا كان بدويًّا صاحب نجعة وانتواء وارتياد للكلاء وتتبُّع لمساقط الغيث ، سواء كان من العرب أو من مواليهم ويجمع الأعرابي على الأعراب و الأعاريب ويقال : إنَّ الأعرابي إذا قيل له : يا عربي فرح بذلك وهشَّ له ، والعربيُّ إذا قيل له : يا أعرابي غضب له. فمن نزل البادية أو جاور البادين وظعن بظعنهم وانتوى بانتوائهم فهم أعراب ومن نزل بلاد الرِّيف استوطن المدن والقرى العربيَّة وغيرها ممَّن ينتمي إلى العرب فهم عرب وإن لم يكونوا فصحاء"ابن منظور مادة "عرب" ط ٣ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٩٩

ولهذا منع الرسول الكريم أتباعه من التعرّض لهما بقول أو فعل، بل إنّ الحكمة اقتضت أن يرشدهم إلى السبيل القويم بأن علّل تصرف الأعرابي المطالب بدَيْنه بعبارة جامعة بيّن من خلالها أنّ الأعرابي لم يقترف ذنبا بمطالبته بحقّه، وأنّ صاحب الحقّ أينما كان فحجته ظاهرة وقويّة لكن مع مراعاة مبدأ التأدّب . وحتّى يؤكّد هذا المبدأ في الحكم أردفه بتصرّف كشف عن عمق حلمه على من آذاه مرشدا بذلك أمته إلى حكمة أخرى عاضدة للأولى وهي توخي الإنصاف عند القضاء، لأنّ المفاضلة بين القضاة لا تكون إلاّ من هذا الباب.

إنّ هذا المنهج النبوي ليحتاج إلى ضبط النفس ومجاهدتها "، فالدّعوة إلى الدّين القويم ليست بالأمر الهيّن، ولهذا عمل الرسول الكريم على تصحيح التمثّلات الذهنية لبعض الصفات السائدة في المجتمع والتي كانت مفخرة من يتّصف بها بنقلها من مجال السلوك الجسدي إلى السلوك النفسي نحو صفة الصُرَعة التي من مقتضياتها الشجاعة والقوّة؛ فعن أبي هريرة أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلّم ــ قال: فما تعدّون الصُّرعة فيكم؟ قلنا : الذي لا يصرعه الرجال . قال : ليس بذلك ، ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب "[1] فالتعريف الذي أجاب به الصحابة رضوان الله عليهم الرسول لم يكن ليخفى عنه ،وهو وأفصحهم لسانا(الصرعة هو الممدوح القوي الفاضل الذي يصرعه يصرع الرجال)، لكن الرسول باستفهامه التوجيهي أراد تعديل مفهوم هذا الخلق ، فالصرعة من الوجهة الشرعية هي إمساك النفس عند الغضب عن الانتصار والمخاصمة والمنازعة، والصرعة بهذا المعنى هو الفاضل الممدوح الذي قلّ من يقدر على التخلّق بخلقه ومشاركته في فضيلته بخلاف الأول [2] لتصبح

(١) ــ صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب البر والصلة والآداب، دار الكتاب العربي١٩٨٧، ج ١٦ ص ١٦٢

(٢) ـ المصدر نفسه ص١٦٢

القوّة من المنظور الإسلامي تقاس بمدى التحكّم في الانفعالات وكتم الغيظ منعا للمفسدة وجلبا للمنفعة.

وما استئثار الأعرابي بالرحمة له وللرسول في صلاته فحسب دون من عنّفه وذكر اسمه مجرّدا "اللَّهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً" إلاّ دليل على تأصّل طبع الجفاء والغلظة فيه؛ ممّا جعل الرسول ــ صلى الله عليه وسلّم ــ يعقّب عليه تعقيبا بليغا يلفت فيها نظره إلى أدب الدعاء بعبارة جامعة "لقد تحجّرتَ واسعاً" في إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1] ، و مستنكرا عليه بخله برحمة اللهَّ على خلقه وتخصيص به نفسه دون غيره من إخوانه المسلمين.

نخلص مما تقدّم إلى أنّ خلق الرفق قد شكّل أساس المنهج النبوي ، لما له من قدرة على استئلاف المخالف، فقد أثّر هذا الخلق العظيم في حياة من تعامل معهم الرسول ص باكتسابهم قيما جديدة ما كانت لتتمكّن منهم بالتعنيف؛ فالرفق كما قال ــ صلى الله عليه وسلّم ــ ناصحا أمّ المؤمنين عائشة: "يا عائشة إنّ الله رفيق يحبّ الرفق ويُعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف و ما لا يعطي على ما سواه"[2] فعلى الرغم من اختلاف المواقف التي سيقت فيها الأحاديث، فإنّ المنهج النبوي لم يتغيّر ؛ ذلك أنّ الرسول لم يكن متكلّفا في تصرّفاته وإنما كانت أصيلة فيه ، فالرفق هو مفتاح منهجه، إذ به تحلّ المشكلات وتحقّق الغايات. وانطلاقا من هذا الاعتبار، شدّد على الأئمة المتشدّدين وأغلظ لهم القول، لما يترتّب عن التطرّف من نتائج سلبية، ففي حديث أبي مسعود الأنصاري قال: " قال رجل يا رسول الله، لا أكاد أدرك الصلاة ممّا يطول بنا فلان. فما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في موعظة أشدُّ غضبا من يومئذ، فقال: أيّها الناس، إنّكم مُنَفِّرون فمنْ صلّى بالناس

(١) سورة الأعراف / ١٥٦

(٢) ـ صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٦ كتاب البر والصلة والآداب ص ١٤٦

فلْيخفِّف، فإنّ فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة"[1] ؛ وهذا غيض من فيض رحمته ــ صلى الله عليه وسلّم ــ بأمته ورفقه بها.

٣ ــ دور الكلمة الاقتضائية في تأسيس القيم المجتمعية

نسعى في هذا المطلب إلى كشف النقاب عن بعض الآليات الإجرائية اللغوية التي اعتمدها الرسول الكريم بما أوتي من حكمة و بلاغة في التأثير في المتلقين وتعديل سلوكهم، فتحوّلوا من مجتمع قائم على العصبية القبلية و التناحر إلى مجتمع متكافل، فبالإضافة إلى ما تقدّم، فإنّ التعويل في هذا المطلب على قيمة الكلمة المفردة وكيف أنّ الرسول الكريم قد انتبه إلى بعدها التأثيري، فاتّخذها أداة في الدعوة إلى الله.

ولنا أن نذكر في هذا السياق (قدر ما يفرضه المقام) أنّ المنجز اللساني الغربي الحديث قد نبّه إلى القيمة الحجاجية للكلمة من حيث تضمنها مقتضيات تمنحها خصوصيّة تتمثل في الموجِّهات **modalisateurs**؛ ذلك أنّ النظرية الحجاجية تميّز بين نوعين من الكلمات؛ فهناك كلمات فارغة مثل الروابط المنطقية وكلمات ملأى ذات دلالات قارة ومتواضع عليها، فمعناها مستمد من نظام اللغة ذاتها، فهو خارج السياق وسابق للاستعمال .

وبهذا تشكّل الموجّهات الكلمات التي تعبّر عن حكم والتي تكشف عن موقف المتكلّم من قضية ما ورأيه فيها وهنا يتم الحديث عن توجيه التلفّظ المرتبط بالذات المتكلمة ، وقد يكون مباشرا أو غير مباشر حيث استحسان قضية ما هو استهجان لنقيضها بشكل ضمني في أكثر الأحيان.

وفي هذا المقام، لا يمكننا تجاهل الخطاطة التي اقترحتها أوركيوني[1] لحصر الموجّهات التقييمية التي تقدّمها الصفات فإلى جانب الصفات الموضوعية التي لا تشي بوجهة نظر

(١) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب العلم ج ١ ص٢٢٤

المتكلم كالصفات الدالة على الحالة المدنيّة للشخص أعزب/ متزوج وصفات الألوان، هناك صفات تدلّ على الجانب الذاتي في اللغة ويصعب التخلّص منه، إذ يجب التمييز بين الملفوظ الذي يحمل حكما عاما موضوعيا قابلا للبرهنة والتمحيص لأنه يحيل إلى معطيات ملازمة للموضوع والملفوظ الذي يحمل حكما قيميا ذاتيا (تزيينيا أو قدحيا)، فيعبّر بذلك عن وجهة نظر المتكلّم، لأن تأويلها يتوقف على إدراك هيئة التلفظ (المتكلّم) المحكومة ببنيات ثقافية وأخلاقية وفردية، مثل جميل وكريم وبخيل ؛ فما هو جميل بالنسبة إليّ قد يكون غير ذلك للآخر ومن هو كريم بالنسبة إلى شخص هو مبذّر من وجهة نظر مغايرة .إنّ هذه المؤشرات تعمل في وقت واحد، إنّ تضافرها يقرّب الفهم غير أن على القارئ أن يراعي كيفية توزيعها في الخطاب".

وحتى نقارب السنّة القولية وفق هذه النظرية الحجاجية المعاصرة ، نأخذ على سبيل التمثيل الأحاديث الآتية التي ترسم نظام العلاقات الاجتماعية المستجدّة في الإسلام.

الأنموذج ١

ورد في صحيح مسلم، قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلّم ــ: " لا يقولنّ أحدكم عبدي وأمتي؛ كلّكم عبيد الله وكلّ نسائكم إماء الله، ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي " وفي رواية " ..ولا يقل العبد ربّي ولكن ليقل سيّدي"(٢)

(١) Cathrine Kerbrat – Orecchioni / L'énonciation de la subjectivité dans le langage. p ٨٤

(٢) ـ صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها ص ص ٥ ـ ٦

الأنموذج ٢

عن المعرور بن سويد قال لقيت أبا ذر بالرَّبْذَة وعليه حُلّة وعلى غلامه حُلّة فسألته عن ذلك، فقال: إني سببت رجلا فعيَّرته بأمه، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلّم: يا أبا ذر أعيّرته بأمه؟ ! إنّك امرؤ فيك جاهلية. إخوانكم خَوَلُكم، جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فلْيطعِمه مما يأكل، ولْيُلبِسْهُ ممّا يلبس ولا تكلِّفوهم ما يَغلِبُهم، فإن كلَّفتموهم فَأَعينوهم "(١)

لا مراء في أنّ الأصل في الإنسان أن يكون حرا، وأنّ صفة الاسترقاق التي لحقت به لم يبدعها الإسلام وإنما كانت في الأمم السابقة نتيجة الغلبة في الحروب والغارات لعوامل شتّى ، و لهذا كانت قيمة الحرية من المقاصد الأصلية التي حرصت الشريعة على تحقيقها لارتباطها بمقصد العدل و المساواة، وكثيرة هي الاعتراضات التي تعالت محتجة على إقرار الإسلام لها ورأوا في ذلك تعارضا مع مقصد العدل الذي ينادي به. ومن بين الإيرادات المقنعة التي دحضت هذه الدعوى إيراد الطاهر بن عاشور الذي نستأنس ببعضه في هذا السياق رغم طوله، حيث رأى أنّ رعاية الشريعة لـ" المصالح المشتركة وحفظ النظام وقف بها عن إبطال العبودية بوجه عام وتعويضها بالحرية، وإطلاق العبيد من ربقة العبودية، وإبطال أسباب تجدد العبودية، مع أن ذلك يخدم مقصدها. كان ذلك التوقف من أجل أنّ نظام المجتمعات في كل قطر قائم على نظام الرق..فكان الرقيق [لذلك] من أكبر الجماعات التي أقيم عليها النظام العائلي والاقتصادي و[الاجتماعي] لدى الأمم حين طرقتهم دعوة الإسلام. فلو جاء الإسلام بقلب ذلك النظام رأسا على عقب لانفرط عقد نظام المدينة انفراطا تعسر معه عودة انتظامه، فهذا موجب إحجام الشريعة عن إبطال الرق الموجود ..

(١) ـ ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ١ ص ١٠٦

فنظر الإسلام إلى طريق الجمع بين مقصديه ــ نشر الحرية وحفظ نظام العالم ــ بأن سلّط عوامل الحرية على عوامل العبودية مقاومةً لها بتقليلها وعلاجا للباقي منها، وذلك بإبطال أسباب كثيرة من أسباب الاسترقاق وقصره على سبب الأسر خاصة. ثم إن الإسلام التفت إلى علاج الرق الموجود والذي يوجد بروافع ترفع ضرر الرق، وذلك بتقليله عن طريق تكثير أسباب رفعه، وبتخفيف آثار حالته، وذلك بتعديل تصرفات المالكين في عبيدهم الذي كان غالبه مُعنِتا. . فمن استقراء هاته التصرفات ونحوها حصل لنا العلم بأنّ الشريعة قاصدة بثّ الحرية بالمعنى الأول. وأما المعنى الثاني فله مظاهر كثيرة هي من مقاصد الإسلام[1] ".

وبناء على هذه المعطيات، فلئن لم يبطل الإسلام العبودية، فإنه قنّنها بواسطة إرساء ضوابط اجتماعية أخلاقية جديدة لا تخرج عن التعاليم الإسلامية التي رافقت قيم الدين الجديد، وتتمثل في التشديد على المالك بإبراز واجباته نحو المملوك وبيان حقوقه. وهو حال هذه المحاورات (وغيرها كثير في كتب السنّة) التي تقوم شاهدة على منهج الرسول التعليمي في التخفيف من حدّة الاسترقاق إلى أن أبطلته الأنساق الثقافية من تلقاء نفسها.

لقد بدأ التدرّج من أجل تحقيق هذا المسعى بإصلاح العرف الاجتماعي المرافق للاسترقاق بتهذيبه، ابتداء من تقييد حرية المالك في توظيف الألفاظ الموجّهة إلى المملوك، فلئن أسهمت الظروف الخارجية (كالغزو والفقر..) في أن يصبح الحرّ عبدا، فإنّ عبوديته تلك لم تسلبه إنسانيته ، فمن هذه الحيثية لا تفاوت بين البشر؛ فحقيقة العبودية إنما يستحقها الله تعالى وكلّ البشر عبيد له، ومن هذه الحيثية أيضا جاء نهي الرسول الكريم عن استعمال ألفاظ بعينها لاعتبارين:

– لما فيها من تعظيم للمخلوق وسوء أدب مع الخالق لتشاركهما في اللفظ نفسه .

(١) ـ محمد الطاهر بن عاشور: محمد الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، ت محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، الأردن،ط٢، ٢٠٠١ص ٣٩٠ ــ ٣٩٥

– ولما تسبّبه من تأثيرات نفسية في المملوك واعتداء على كرامته التي هي من أهمّ المقاصد التي جاءت الشريعة لحفظها، ولعلّ هذا ما جعل الإسلام يعلي من شأن المملوك بأن ضاعف له أجر طاعة الله على أجر الحر المطيع، "لأنه قد ساواه في طاعة الله وفضل عليه بطاعة من أمره الله بطاعته"(١) فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال قال النبي ــ صلى الله عليه وسلّم ــ: " نعم ما لأحدهم يحسن عبادة ربه وينصح لسيده" (٢) ،

إنّ الألفاظ التي تقرّرت في المجتمع الجاهلي من قبيل "عبد" و "ربّ" المشيرة إلى المالك واستبدالها بـ سيّد ومولى .. والألفاظ المشيرة إلى المملوك " عبد" و " أمة " واستبدالها ب فتى وفتاة وغلام من شأنه أن يحدّ من غلواء الشعور بالعظمة لدى المالك و الشعور بالهوان لدى المملوك، حيث تعدّ الكلمات الموصى بها مشتركة بين الحر وغيره، فتُنتفى بهذا الوظيفة التمييزية المستفادة من الألفاظ المنتمية إلى النسق الثقافي الجاهلي . وقد أشار ابن عطية في تفسيره إلى هذه الدقيقة اللغوية التي استقرأها من الشواهد اللغوية عند جمع كلمة " عبد" ؛ فلئن كانت تجمع على عباد وعبيد فإنّهما غير متكافئتين في عرف الاستعمال؛ ذلك أنّنا " نجد ورود لفظة (العباد) في القرآن وغيره في مواضع تفخيم أو ترفيع أو كرامة، وورود لفظة (العبيد) في تحقير أو استضعاف أو قصد ذمّ، ألا ترى قول امرئ القيس: قولا لدودانَ عبيد العصا .. "(٣) .

على هذا الأساس يكون المنهج النبوي مسايرا للمنهج الربّاني ومرسّخ له.

(١) ــ ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ،كتاب الخصومات ج ٥ ، ص ٢٠٩

(٢) ــ ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب الخصومات ، ، ج ٥ ، ص ٢٠٨

(٣) ـ أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي: تفسير ابن عطيّة، المحرِّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ص ٦٠٨

أمّا إذا عرّجنا على الألفاظ الواردة في الحديث الثاني، فإنّ معالم المجتمع الإسلامي المتحضّر التي سعى الرسول إلى تثبيتها بين رعيّته ترتسم واضحة جليّة ، فاختيار كلمتي " إخوانكم" و "خولكم" الواصفتين للمستخدمين عموما، تقدّم أنموذجا عن طبيعة القيم الإسلامية السامية التي عمل الإسلام على الدعوة إليها وفق التوجيه الحجاجي للكلمة الاقتضائية الآتي :

التوجيه الحجاجي

المملوك عبد ← يعامل حسب ما يقتضيه نظام الاسترقاق

المملوك أخ ← يعامل حسب ما تقتضيه علاقة الأخوّة

لقد سلك الرسول ـ المعلّم في تأديب المتطاول على مستخدَمه أسلوبا يشي بحكمة متأصّلة، كما رأينا سابقا، فإطلاق صفتي "أخ" و "خائل " على المستخدم اللذين جاءا في معرض التوبيخ المستفاد من الاستفهام الإنكاري، أعطاهما الرسول الكريم قوّة الحجّة الداعمة للنتيجة التي يريدها " إذن فلترفقوا بهم ".

فإذا كان الناس يتساوون في أصل النشأة وفي الدين الإسلامي كما تقرّر في الحديث الأوّل "كلّكم عبيد الله وكلّ نسائكم إماء الله "، فإنّه لا يحقّ للمستخدِم أن يتطاول على مستخدَمه لكونه خادما، فأساس العلاقة بينهما تتجاوز طبيعة الوظيفة ونوعها مادامت مشروعة، إلى أبعاد أعمق هي الرابطة الإنسانية " إخوانكم" و الّدينية. والعبد سواء أكان مالكا أو مملوكا عليه أن يراعي هذا المبدأ في التعامل فيؤدي كلّ منهما واجباته على أكمل وجه. فانتقاء الرسول لفظ " خَوَل " من بين الممكنات اللغوية التي يتيحها المعجم العربي للإشارة إلى المملوك له مبرّراته حيث جاء في اللسان " وهو اسم يقع على العبد والأمة.. و الخائل: الراعي للشيء الحافظ

له..القائم به "[1] وبهذا فهذه اللفظة تقتضي من الصفات الإيجابية (رعاية مصالح المستخدَم و المحافظة عليها) ما يجبر المستخدم على حسن معاملته بالرفق به وإكرامه وإنْ كان من باب مواساته: " فمن كان أخوه تحت يده فلْيطعِمه مما يأكل، ولْيُلبِسْهُ ممّا يلبس ولا تكلِّفوهم ما يَغلِبُهم، فإن كلَّفتموهم فَأَعينوهم " وقد أورد الرسول الأمر بالرفق في أسلوب الشرط ليأخذ صبغة عامة، إذ يتضمّن معنى رعاية كلّ راع لرعيته.

وفي المقابل، نهى الرسول ــ صلى الله عليه وسلّم ــ المملوك عن استعمال لفظ ربّ للإحالة إلى مالكه، بأن استبدلها بكلمة **"سيّد"** ، كونها تقتضي حسن رعاية السيّد لمصالح من هم تحت مسئوليته ووجوب الرفق بهم، جاء في اللسان " السيد الذي فاق غيره بالعقل والمال والدفع والنفع المعطي ماله في حقوقه، المُعين بنفسه؛ فذلك السيد وقال عكرمة الذي لا يغلبه غضبه والأصمعي: العرب تقول السيد كلّ مقهور مغمور بحلمه وقيل السيد الكريم "[2] و من كانت هذه صفاته، حريّبه أنن يتصرّف بمقتضياتها. ليس بخافٍ ما في تقديم كلمة " **إخوانكم** " وتكرارها من توجيه حجاجي لصالح النتيجة المراد ترسيخها " الرفق بالمستخدم من أخلاق الإسلام " و من ثمّة نجاحها في استثارة عاطفة المتلقّي .ومن يخرج عن هذا السلوك القويم الذي يقول به الفكر السليم فلم يتخلّق بخلق الإسلام على أكمل وجه: " إنّك امرؤ فيك جاهلية".

ولنقف على فاعلية هذا المنهج النبوي في توظيفه للطاقة الحجاجية للكلمة ، فإنه يكفينا الاطلاع على الأحاديث الواردة في الباب ورصد ردّات الفعل للصحابة رضوان الله عليهم

(١) ــ ابن منظور : لسان العرب، مادة خَوَلَ

(٢) ابن منظور : لسان العرب، مادة سود

ومنها مقدّمة الحديث موضوع التحليل ، حيث ساوى أبو ذر ـــ رضي الله عنه ـــ بينه وبين غلامه درءا لشبهة خلق الجاهلية.

ببلوغ هذا المستوى من التحليل، قد يكون من المفيد ــ قصد التجريد والتعميم ــ وضع خطاطة عامة للعلاقة التي تربط الراعي برعيّته في جميع مستويات المسئوليّة، وذلك بربط القضية بالنتيجة التي تجيزها بواسطة سهم، حيث يكون قانون المرور المناسب (الحجّة ، المقدّمة الكبرى) هو المسوّغ للنتيجة المتوقّعة؛ فإننا نتحصّل على خطاطة حجاجية عامة ضمنية.

القضية (الراعي رحيم برعيّته في الدنيا النتيجة (الخالق رحيم بعباده في الدنيا والآخرة)

↓

قانون المرور (الجزاء من جنس العمل)

(مثل من لا يرحم لا يرحم)

من السهل على مستقرئ السّنة القولية، أن يلاحظ هيمنة الأفعال العاطفية في كلام الرسول الكريم ، فمئات الأحاديث تشتمل على الأفعال الدالة على الحب؛ الأمر الذي يدفعنا إلى وصف هذا الدين بدين المحبة والألفة، فالرسول ــ صلى الله عليه وسلّم ــ لا يجد أيّ غضاضة في إعلان حبّه لمن يستحقّه ، بل إنّه جعل الإيمان بالله مقرونا بحب المؤمنين بعضهم بعضا ، إذ كيف تتجاور عاطفتا الحب و البغضاء في قلب المؤمن؟ . وعلى هذا الأساس، ارتبطت محاوراته بالمقصد الأصلي للشريعة الإسلامية ممثلا في تحرير العقل من الشوائب الطارئة عليه ، و بناء

الإنسان بالرجوع به إلى الفطرة السليمة التي قوامها العدل و العفو و قواعد السلوك الصحيح القائم على الألفة[1] بمراعاة الأدب في التعامل .

في ختام هذه المقاربة التداولية ـــ الحجاجية للخطاب النبوي التي حاولت من خلالها استثمار الآليات الإجرائية لتحليل الخطاب لوصف الأفعال الكلامية التي تضمّنتها السنّة القولية؛ لا أزعم أنّي قد أحطت بكل آليات الإقناع التي تضمّنتها الأحاديث موضوع التحليل؛ فلا المجال يسمح ولا معاني كلامه ص تنفد، فهي كالحلقة المفرغة كلّ حلقة تسلمك إلى أخرى.

غير أنّه من الضروري الإشارة إلى أنّ الانفتاح على الآليات المنهجية الحديثة في العلوم الإنسانية له نفع في تخليص لغة الدعاة من الإنشائية التي فقدت بريقها في عالم منفتح على جميع الثقافات. ولعلّ هذا ما قصده الطاهر بن عاشور بقوله" وإني قد وجدت السبيل المذموم في العلم راجعا إلى التكلّف، وترك الجادة واتباع بنيات الطريق وتعسّف السبل

(١) ـ عن جابر قال: قال رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلّم ـــ " المؤمن يأْلَف ويُؤْلَف، ولا خير فيمن لا يأْلَف ولا يُؤْلَف. (٣)

قال المناوي في شرح قوله:المؤمن يأْلَف ((قال: " لحسن أخلاقه وسهولة طباعه ولين جانبه. وفي رواية :إلْفٌ مَأْلُوف .و الإلْف: اللَّازم للشَّيء، فالمؤمن يأْلَف الخير، وأهله ويألفونه بمناسبة الإيمان، ولا خير فيمن لا يأْلَف ولا يُؤْلَف لضعف إيمانه، وعُسْر أخلاقه، وسوء طباعه. والأُلْفَة سببٌ للاعتصام بالله وبحبله، وبه يحصل الإجماع بين المسلمين وبضِدِّه تحصل الـنُّفْرة بينهم، وإنَّما تحصل الأُلْفَة بتوفيقٍ إلهي... ومِن التَّآلف: ترك المداعاة والاعتذار عند توهُّم شيء في النَّفس، وتَـرْك الجدال والمراء وكثرة المزاح. (٤)

قال الرَّاغب الأصفهاني: (ولذلك حثَّنا على الاجتماعات في الجماعات والجمعات، لكون ذلك سببًا للأُلْفَة، بل لذلك عظَّم الله تعالى المنَّة على المؤمنين بإيقاع الأُلْفَة بين المؤمنين .

المنحرفة. وأنّ ملاك الصواب هو ترك التكلّف، ولذلك أرى ملاك آداب العلم قوله تعالى ﴿ وما أنا من المتكلّفين ﴾. وإنك لتوقن بأن أمة يزجي بها دينها إلى صحة التفكير في كلّ النواحي العارضة في الحياة العقلية والعلمية لهي جديرة بما نالته من سيادة العالم أيّام كانت أخلاقها الدينية غير مشوبة بخليط الخطأ في فهمه حق فهمه.. "[1]

كما حاولت من خلال المطالب المقترحة ــ على اقتضابها وتواضعها ــ أن أنبّه إلى إجرائية المقاربة الحجاجية من خلال استراتيجياتها الإقناعية وآلياتها المتنوعة التي يؤدي توظيفها توظيفا واعيا من قبل الدعاة والتأسّي بها إلى تعديل سلوكاتنا ؛ حيث يستبدل العنف اللفظي والمادي الناجم عن غياب الإقناع بالكلمة المقنعة التي تقوم على الحوار والإنصات إلى الآخر.

فما أحوجنا إلى تجسيد منظومة القيم التي يزخر بها الخطاب النبويّ، لعلّ مجتمعاتنا تنبعث من جديد !! ولله الحمد من قبل ومن بعد وصلّى الله على المبعوث رحمة للعالمين.

(١) محمد الطاهر بن عاشور: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص ص٦٣ ـ ٦٤

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ابن منظور : لسان العرب، ط ٣ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٩٩

- أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي: تفسير ابن عطيّة، المحرِّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار ابن حزم

- أحمد بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، تح محمد فؤاد عبد الباقي/ محب الدين الخطيب، دار الريّان للتراث، القاهرة ط٢ ، ١٩٨٧

- فخر الدين الرازي: التفسير الكبير ،دار الكتب العلمية ، ط ١ ٢٠٠٠

- صحيح مسلم بشرح النووي، دار الكتاب العربي ، بيروت، ١٩٨٧

- ضياء الدين ابن الأثير: المثل السّائر في أدب الكاتب والشاعر، تح أحمد الحوفي و بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر د.ت

- محمد الطاهر بن عاشور: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الشركة التونسية للتوزيع ، ط ٢، ١٩٨٥

- محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر،١٩٨٤

- محمد الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية ، ت محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، الأردن،ط٢، ٢٠٠١

- محمد نقيب العطاس: مداخلات فلسفية في الإسلام والعَلمانية ، تر سيد محمد طاهر الميساوي ، المعهد العالي العالمي للفكر والحضارة الإسلامية ، دار النفائس الأردن ط ١ ٢٠٠٠

- نصيرة محمد غماري : النظرية التداولية عند الأصوليين: دراسة في تفسير الرازي ، عالم الكتب الحديث الأردن ٢٠١٤

المراجع الأجنبية:

- Christien Plantin : L'argumentation Editions du seuil. ١٩٩٦ p١٨

- Austin : Quand dire c'est faire ;introduction ; traduction par Gilles Lane , Editions du Seuil ,

- Cathrine Kerbrat – Orecchioni / L'énonciation de la subjectivité dans le langage